عدي بن الرقاع العاملي

١

حياته

هو ابو داود عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع العاملي من بني عاملة . وهم من عرب اليمن ينتهي نسبهم الى كهلان ثم الى قحطان . نزحوا عن اليمن الى الشام مع من نزح من اليمانيين قبل الاسلام . يقول الهمداني في صفة جزيرة العرب : (ديار عاملة مجاورة للاردن وجبل عاملة مشرف على عكا من قبل البحر بليها ويطل على الاردن) . ويقول أيضاً : (وأما عاملة فهي في جبلها مشرفة على طبرية الى نحو البحر) . ويقول ابن خلدون في كتاب العبر: (إن بني عاملة بطن مقسم ومواطنهم ببرية الشام) ويقول القلقشندي في صبح الاعشى : (ان بجبال عاملة من بلاد الشام الجم الغفير من بني عاملة) . ونسب الناس عدياً الى الرقاع وهو جد جده لشهرته .

وقد زعم بعض النساب أن عاملة من معد بن عدنان وليست من قحطان ، ولكن عدياً نفسه يتولى الرد عليهم بقوله :

قحطان والدنا الذي ندعى له وأبو خزيمة خندق بن نزار

وفي لغة عدي أيضا ما يصحح دعواه قال :

فانك والشعر ذو تزجي قوافيه كمبتغي الصيد في عريسة الاسد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يريد (الشعر الذي تزجي قوافيه) وذو بمعنى الذي في لغة طيئ ، وطيئ من قحطان .

نحن لا نعلم على التحقيق في أي سنة ولد عدي ولكن يغلب على الظن أن يكون مولده حوالي العقد الرابع من القرن الاول لان من أول ما روي عنه من الشعر أبياتا قالها في زمن يزيد بن معاوية وأنشده اياها . ويزيد بويع بالخلافة سنة ستين وتوفي سنة أربع وستين . فلا نكون مخطئين إذا قدرنا أن عديا كان وقتئذ شابا .

أما منزله فقد كان بدمشق كما نص على ذلك صاحب الاغاني . وقال أيضا « هو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم » ولقبه ابن دريد في كتاب الاشتقاق بشاعر أهل الشام وعده محمد بن سلام الجمحي في الطبقة السابعة من شعراء الاسلام .

نشأ عدي في دمشق عاصمة الدولة الاموية وكان هواه مع بني أمية (يمدح أحياءهم ويرثي أمواتهم) كما قال الوليد بن عبد الملك ، ولا يقف عند هذا الحد بل يرى رأيهم ويقول بقولهم ويؤيد سياستهم ويتحمس لهم وهو سلم لمن أطاعهم وحرب على من عصاهم ، ينصرهم بلسانه وبسيفه لا عن رغبة بل عن رأي وعقيدة . قال يمدح عبد الملك ابن مروان بعد أن ظفر في الوقعة التي كانت بينه وبين مصعب بن الزبير وانتهت بمقتل مصعب بدير الجاثليق :

لعمري لقد اصحرت خيلنا ... بأكناف دجلة للمصعب
فقدمنا واضح وجهه ... كريم الضرائب والمنصب
أعين بنا ونصرنا به ... ومن ينصر الله لم يغلب
فداؤك أمي وأبناؤها ... وان شئت زدت عليها أبي
وما قتلها رهبة إنما ... يحل العقاب على المذنب
اذا شئت نازلت مستقلا ... أزاحم كالجمل الاجرب
فمن بك منا يبث آمنا ... ومن بك من غيرنا يهرب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أفلا ترى صدق اللهجة في قوله (وما قلتها رهبة ٠٠٠٠) فضلا عن بقية الابيات التي تنبئ بان الشاعر حارب في جيش عبد الملك ٠

فلما توفي عبد الملك وخلفه ابنه الوليد اختص عدي به ومدحه بقصائد من حر الشعر قي منها قصيدتان مطلع الاولى :

عرف الديار توهما فاعتادها من بعدما شمل البلى ابلادها

ومطلع الثانية :

طار الكرى وألم الهم فاكتنعا وحيل بيني وبين النوم فامتنعا

وأبيات من قصائد خلد بها مآثره واشاد باعماله العظيمة كما مدح ابنه عمر بن الوليد فقربه الوليد وقدمه وكان يدعوه (شاعرنا) ٠ ولئن أحب عدي بني أمية عامة فلقد آثر الوليد منهم خاصة وأخلص في حبه كثيراً حتى تمنى أن يموت بجيانه فقال من قصيدة يمدحه بها :

عذنا بذي العرش أن نحيا ونفقده وان نكون لراع بعده تبعا

ولكن هذه الامنية لم تتحقق فقد توفي الوليد وبويع بعده أخوه سليمان بن عبد الملك فاستقدم عديا وعاتبه ووصله واجتمع مرة عنده مع الفرزدق وجرير وكثير ٠ وتوفي سليمان وخلفه عمر بن عبد العزيز وعدي حي وقد ذكره بشعره إذ يقول :

لو لا اختياري أبا حفص وطاعته كاد الهوى من غداة البين يستزم

ولم يذكر صاحب الاغاني ولا ابن عساكر في التاريخ الكبير ولا ابن سلام الجمحي في طبقات الشعراء ولا ابن قتيبة في الشعر والشعراء خبراً لعدي بعد عمر بن عبد العزيز الذي بويع بالخلافة سنة تسع وتسعين وتوفي سنة احدى ومائة فلا يبعد أن يكون عدي توفي في خلافته ٠

وكأن تقدمه عند بني أمية أثار حسد الشعراء له فقد تعرض له جرير في مجلس الوليد بن عبد الملك فناقضه عدي ثم لم تتم بينهما مهاجاة لان الوليد منع جريراً من هجائه فهجاه جرير تعريضاً ولم يصرح باسمه خوفا من الوليد ٠ وهجاه الراعي فرد عليه عدي وكان كثير يبغضه لانه كان يبلغه عن عدي أنه يطعن على شعره ٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكان له بنت شاعرة اسمها سلمى فاتاه ناس من الشعراء ليباتنوه وكان غائباً فسمعت بذلك وهي صغيرة فخرجت اليهم وقالت :

تجمعتم من كل أوب وبلدة ... على واحد لا زلتم قرن واحد

فانخزلوا عنها . ويستدل من كنيته على أنه كان له ابن اسمه داود وسماه بعضهم دواداً ولا نعرف من خبره شيئاً . كما أن قوله : (فداؤك أمي وأبناؤها)

ينبئ بان له اخوة خفيت علينا اسماؤهم .

وله ديوان شعر ذكره ابن النديم في كتاب الفهرست . وذكر عبد القادر البغدادي في خزانة الادب ج ١ ص ١٠ أنه اطلع على ديوان عدي بن الرقاع وعده في جملة الدواوين التي اعتمد عليها في تأليف الخزانة . ولكن لا يعلم الآن مكان ذلك الديوان .

صفته واخلاقه

لم ينص أحد ممن ذكر ابن الرقاع على شيء من صفته غير ابن عساكر فقد ذكر أنه كان أبرص . ويصفه لنا عبيد الراعي الشاعر بانه قصير أوقص اذ يهجوه ويقول :

جنادف لاحق بالرأس منكبه ... كأنه كودن بوشي بكلاب

من معشر كحلت باللؤم اعينهم ... فقد الاكف لئام غير صياب

جنادف أي قصير أراد أنه أوقص والكودن البرذون وبوشي يستحث والكلاب المهماز وافقد الكف ماثلها والصياب السادة . والله يعلم مبلغ هذه الصورة من الصحة . على أن بعض أخباره التي أوردها صاحب الاغاني وابن عساكر مع البقية الباقية من شعره يمكن ان نصف لنا شيئاً من نفسه واخلاقه .

كان عدي يفخر بما يفخر به فتيان العرب الحب والشجاعة والفصاحة وفي ذلك يقول :

فلقد ثنيت بد الفتاة وسادة ... لي جاعلا يسرى يديّ وسادها

وأصاحب الجيش العرمرم فارسا ... في الخيل أشهد كرها وطرادها

وقصيدة قد بت أجمع بينها ... حتى أقوم ميلها وسنادها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكان وافيًا لاصحابه في مرائهم وضرائهم لا ينحرف عنهم بانحراف الزمان والسلطان ، عزل الوليد بن عبد الملك عبيدة بن عبد الرحمن عن الاردن وضربه وحلقه وأقامه للناس وقال للمتوكلين به من أتاه متوجعا واثنى عليه فائتوني به فأتى عدي بن الرقاع وكان عبيدة اليه محسنا فوقف عليه وأنشأ يقول :

فما عزلوك مسبوقا ولكن ... الى الخيرات ضباقا جوادا
وكنت اخي وما ولدتك امي ... وصولا باذلا لي مستزادا
وقد هبضت لنكبتك القدامى ... كذاك الله يفعل ما أرادا

فوثب المتوكلون به اليه فادخلوه الى الوليد واخبروه بما جرى فتغيظ عليه الوليد وقال له أتمدح رجلا فعلت به ما فعلت ؟ فقال يا أمير المؤمنين انه كان الي محسنا ولي مؤثراً وبي براً ففي أي وقت كنت أكافئه بعد هذا اليوم؟ فقال صدقت وكرمت فقد عفوت عنك وعنه لك فخذه وانصرف ، وانصرف به الى منزله .

وكان شديد المعارضة حاضر الجواب ، دخل جرير على الوليد بن عبد الملك وعنده عدي بن الرقاع فقال له الوليد اتعرف هذا ؟ فقال لا يا أمير المؤمنين ، فمن هو ؟ قال هذا عدي بن الرقاع . فقال جرير : نشر الثياب الرقاع ، فمن هو؟ قال من عاملة . قال جرير : أمن التي قال الله تعالى فيها عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية ثم قال :

يقصر باع العاملي عن الندي ... ولكن = العاملي طويل

فقال له عدي :

أأمك كانت اخبرتك بطوله ... أم انت امرؤ لم تدر كيف تقول

فقال جرير : لابل أدري كيف أقول . فقال الوليد والله ليركبنك شاعرنا ومادحنا والرثي لامواتنا ، تقول هذه المقالة ؟ والله لئن هجوته لافعلن ولافعلن . فلم يصرح جرير بهجائه وعرض فقال قصيدته التي أولها :

حي المنزلة من ذات المواعيس

وقال فيها يعرض به :

أقصر فان نزارا لن يفاخرهم ... فرع لئيم واصل غير مغروس

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وابن اللبون اذا ما لز في قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس
قد جربت عركتي في كل معترك غلب الاسود فما بال الضغابيس

وكان عدي مدح الوليد بن عبد الملك بقوله :

عذنا بذي العرش أن نحيا ونفقده وأن نكون لراع بعده تبعا

فلما توفي الوليد وبويع بالخلافة لسليمان بن عبد الملك استدعى عديا فلما دخل عليه قال ان كنت لكارها خلافتي . قال وكيف ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال حين تقول في مدحة الوليد :

عذنا بذي العرش ان نبقى ونفقده وان نكون لراع بعده تبعا

قال ابن الرقاع والله ما هكذا قلت يا امير المؤمنين ولكني قلت :

عذنا بذي العرش ان نبقى ونفقدهم وأن نكون لراع بعدهم تبعا

قال او كذلك ؟ قال نعم . فوصله واذن له بالانصراف .

ومن شعره ما يدل على انه كان تياها كثير الاعجاب والذهاب بنفسه قال من قصيدة :

وعلمت حتى ما اسائل واحداً عن علم واحدة لكي ازدادها

واتفق ان عديا لما انشد الوليد بن عبد الملك القصيدة التي منها هذا البيت كان عنده كثير فلما انشد هذا البيت قال كثير كذبت ورب البيت الحرام فليمتحنك امير المؤمنين بان يسألك عن صغار الامور دون كبارها حتى يتبين جهلك وما كنت قط أحمق منك الآن حيث تظن هذا بنفسك فضحك الوليد ومن حضر .

وروي عن محمد بن المنجم أنه قال : ما احد ذكر لي فأحببت ان اراه فاذا رايته اصرت بصفعه الا عدي بن الرقاع قيل : ولم ذلك قال لقوله :

وعلمت حتى ما اسائل واحدا عن علم واحدة لكي ازدادها

فكنت اعرض عليه اصناف العلوم فكلما مر به شيء ولا يحسنه اصرت بصفعه .

وقد سماه جرير الشاعر المغرور حين عرض به فقال :

اني اذا الشاعر المغرور جربني جار لقبر على مران مرموس

ولكنه مع هذا الاعجاب بنفسه لم يقو على مصاولة جرير بل خافه فقد روي أنه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لما اجتمع بجرير عند الوليد بن عبد الملك وهدده جرير بالهجاء وثب عدي إلى رجل الوليد فقبلها وقال اجرني منه .

وإذا صح أن تكون الصفات التي بنعت بها الشاعر نفسه دليلاً على أخلاقه جاز لنا أن نقول إن عدياً كان جلداً لا يتضعضع لريب الدهر لقوله :

ونكبة لو رمى الرامي بها حجراً أصم من يابس الصوان لانصدعا
أتت عليّ فلم أترع لها سلبي ولا استكنت لها شكوى ولا جزعا

وإنه كان حمولاً على نفسه غير سؤول لقوله :

فسترت عيب معيشتي بتكرمٍ وأبيت في سعة النعيم سدادها

وهما يكن من مبالغة في هذه الصفات فانها تضرب بعرق إلى الحقيقة في نفس الشاعر .
أما هواه السياسي فقد كان مع بني أمية كما تقدم ذكر ذلك في حياته .

يتبع : خليل مردم بك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net